مجلة المرأة

العدد : ١٩٣ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٨ هجري ١٠/١٩٩٧ ميلادي

| عنوان المقال : سلاماً ... سلاماً ( ٣ – ٣ ) | بقلم : يمان السباعي |
|---|---|

إن السلام الذي هو أعلى منحة من منح الله عز وجل في الجنة ، ليس إلا أعظم هبة من هباته في الحياة الدنيا ، وإن افتقاد السلام النفسي في أعماق الإنسان ، يجعله قلقاً مضطرباً ، يعيش حياته وكأنها جحيم داخلي يحمله أنى سار وحيثما حل ، وهذا القلق يورث المرء أمراضاً نفسية ، وجسمية ، ويحول بينه وبين أن يحيا حياة إيجابية مثمرة في ركب عباد الرحمن .

ولا يمكن أن يتوفر السلام النفسي الفردي للإنسان في جوٍ أسري مضطرب من الناحية الفكرية والسلوكية ، المادية والمعنوية.

فاستقرار الأسرة ، وطمأنينتها أساس في توفير السلام الداخلي لأفرادها. وإذا كان الاستقرار الاقتصادي شرطاً لازماً في تماسك دعائم الأسرة ، فإن عبء ذلك يقع على عاتق الرجل الذي ينبغي أن يسعى في مناكب الأرض ليؤمن لأسرته الحد اللازم من الكفاية الشرعية ، ولا توجد أي علاقة بين استقرار الأسرة مادياً ، وارتفاع أو انخفاض مستواها الاقتصادي ، فالاستقرار شيء ، والغنى والاستكثار شيء آخر.

أما مهمة استقرار الأسرة معنوياً ، فتقع في جلها على عاتق المرأة ، فهي التي تنظم أمور المنزل ، وتضبط تصرفات أفراده ، وتوجه سلوكياته ، وتشرف على سير حياتهم اليومية ، وصياغة مهماتهم في الحياة...

هذا هو المحل الشرعي للمرأة المسلمة الراعية في المنزل المسلم ! فأين هي المرأة المسلمة اليوم من هذا الواجب ، ومن هذا المكان الذي ضاع باختلاله توازن الفرد ، واستقرار الأسرة ؟.

لقد تخلت المرأة المسلمة تلقائياً عن القيام بهذا الواجب من جهة ، ولم يعدها المجتمع للقيام به من جهة ثانية... عدا عن العوائق التي تعترض قيامها به فيما إذا استطاعت أو أرادت !!.

فلا تجد المرأة المسلمة اليوم من يعينها على أداء هذه المهمة الخطيرة ، فالرجل والمرأة في المجتمعات المسلمة يتنازعان بشكل محزن السلطات الأسرية ، وبدل أن يتفرغ الرجل في بلاد المسلمين ، لكسب الرزق ، ونيل العلم ، ولزوم المساجد ، وتأمين المستقبل المهني والديني لنفسه ولأبنائه ، نجد معظم الرجال في المقاهي ، أو السهرات الخاصة والعامة - هذا إذا افترضنا الحديث عن

الذين يخافون الله ويخشونه - أو في منازلهم لا عمل لهم إلا مشاهدة التلفاز ، ومنازعة نسائهم على كل كبيرة وصغيرة في شؤون المنزل ، والتدخل في كل أمر مهما دق ، وإصدار الأوامر التي لا بد من تنفيذها ومهما كلف الأمر.

ولا ينبغي أن نقصر نظرنا على مجموعة إسلامية ، ربما استطاعت التغلب على هذه المعضلات الأسرية ، وعلى نماذج من حياة الأسرة المسلمة في بلاد الغرب ، لأن هؤلاء لا يمثلون قلة قليلة بين الجاليات المقيمة في أوروبا فحسب ، بل أنهم يشكلون نسبة لا يمكن الالتفات إليها في مجموع الأسر المسلمة في المجتمعات الإسلامية في طول العالم وعرضه !!.

إن الرجل المسلم قد فسح المجال بعد تركه لأولويات الحياة ، وتفرغه لقيل وقال... فسح المجال لأن يكون وجوده في منزله بلاء على أهله وأولاده ، خاصة وأن المنازل انقلبت في مجتمعاتنا لتصبح مطاعم ، لا عمل للمرأة فيها إلا توفير الطعام ، ومد الموائد لضيوف الزوج ، وإعداد القهوة والشاي ، بينما يرتع الأولاد ويلعبون دون رقيب ، أو هم أمام أجهزة البلاء من تلفاز أو فيديو ، أو ألعاب ألكترونية... ، يستقون منها العنف ، والانحراف الأخلاقي ، والشذوذ السلوكي .

فإذا ما خلا الرجل بأسرته ، كانت المشادات والمشكلات ، على كل صعيد ، فالرجل لا يحسن العيش مع زوجته ، وربما فضل البقاء مع إخوانه وأصحابه حتى ساعات الفجر الأولى ، على أن يجلس مع زوجته في جلسة صفاء ومودة مرة واحدة كل أسبوع... ولسان حاله يقول : " إنك تدقين على جليلي ، وأجُلُّ عن دقيقك " !!! - كما يروي ابن عبد ربه في عقده الفريد - ولو كان لدى ذلك الرجل ما يجل حقاً ، لاستطاع رفع مستوى زوجته لتتفهم جليل ما اشتمل عليه عقله ونفسه وروحه !! التي تجل عن مهمة الترويح عن الزوجة ، أو واجب تربية الأبناء الذين يترعرعون أيتاماً في حضن والديهم... فالأب لا وقت لديه لأسرته ، والأم قد استقالت من أداء هذه المهمة.

وكثيراً مانرى هذه الفواجع في الأسر التي تدعي العمل الإسلامي ، والتفرغ للدعوة إلى الله... بينما يضيع الرجل أسرته بهذه الدعوى... وتضيع المرأة رعيتها انتقاماً من الزوج الذي ضيعها وأولادها.

ولو امتلكت النساء المؤمنات قدراً أدنى من العلم والوعي ، لقامت المرأة المسلمة بالواجب العظيم حال انشغال زوجها عنها وعن أولادها سواء كان هذا الانشغال بحق أو بباطل.

إنه ما من شيء ولا حتى الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله يبرر للرجل المسلم أن يضيع من

يعيل... ولكن جرم المرأة المسلمة لا يماثله جرم إذا هي تخلت عن القيام بمهامها ومسؤولياتها ، وهي التي تباشر مهمة التربية دون حائل ، وتمارس التأثير المباشر على أولادها ، بل على العكس من ذلك ، إن غياب الزوج لسبب أو لآخر ، يجعل مسؤولية المرأة مضاعفة في تضييعها لأولادها ، وإساءة أدبهم ، وترك توجيههم ورعايتهم ، خاصة إذا كانت تتمتع بشيء من علم أو وعي ، ولربما بقيت النساء أعواماً ينتظرون تفرغ الرجل لتربية وتقويم أبنائه ، بينما تُضيع المرأة الوقت الذي هو العمر ، في الشكوى وتكريس الكآبة والوهن... فتُضيّع بذلك حياتها وأولادها... الذين يبدون كأنهم خشب مسندة ، لا علم ، ولا وعي ، ولا خلق ، ولا فضيلة.

أين نحن من قصص أولئك النساء الأمم اللاتي أنجبن رجالاً أمماً... أين نحن من أم الشافعي التي كانت تصحبه في كل يوم إلى المسجد ، حيث المؤدب ليعلمه القرآن والعلم وهو ابن أربع سنوات ؟؟ وأين نحن من أم أبي حنيفة التي يروى أنها باعت جدائلها ليسافر ابنها طلباً للعلم !! أولئك هن النساء المسلمات حقاً... اللاتي وقفن وراء عظماء رجال الأمة ، حتى لو كان الرجل مختفياً في حياتهن بسبب موت ، أو مرض ، أو شغل ، أو سفر.

لقد حرصن على دين أبنائهن ، وتعليمهم العلم والأدب ، فلم يُضع الله أجورهن ، وعرف لهن الصلاح بنص القرآن : { **وكان أبوهما صالحاً** } - والأب في العربية تطلق على الوالد والوالدة : { **ورفع أبويه على العرش** } - فسبب صلاح الوالدين ، حفظ الله للأولاد من الضياع واليتم ، والتخنث ، وسوء الأدب ، وقباحة السلوك ، وقباحة الألفاظ !! ، والكذب... الذي هو أبشع صفة يمكن أن تلحق مسلماً كبيراً كان أو صغيراً ، لأنها دليل أكيد على خلل عميق في عملية التربية ، وشلل بليغ في صياغة الإرادة الفردية ، واحترام المرء لنفسه والآخرين ، فكيف بنا وفي نسائنا من يشجع أبناءه على الكذب ، بل ويعاقبه على قول الصدق في المواقف والمحافل ، لأن رأي الناس فيما تفعل ويفعل أعظم عندها من استقامة حياة ابنها كمسلم تستقيم أموره في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أين هي المرأة المسلمة اليوم... من عملية التربية ؟ ومن مهمة زرع السلام في نفوس الأبناء ، وفي هيكل الأسرة ؟؟ وأين هو قيامها بواجبها في التوجيه والرعاية والتأديب ، وتربية أولاد يُحسنون قول كلمة الحق... ولا يعرفون الكذب في أقوالهم ولا أفعالهم ، كملء نفوسهم بمشاعر العدل ، يتفيّؤون السلام النفسي والطمأنينة ؛ ليكونوا رجال الغد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؟!!

وليس بعد ذلك أي حجة لامرأة مسلمة في غياب الرجل عن عملية التربية ، لأن واجب الرجل أو واجب المرأة في رعاية الأسرة ، إنما هو واجب ديني بين المرء وربه ، ولكن نتائج هذا الواجب تنعكس بكل الأبعاد السلبية والإيجابية الممكنة في حياة هذه الأمة ، التي ما أوتيت من شيء ، بمثل ما أوتيت من قِبل نسائها... جهلاً ، أو تضييعاً... أو تنكباً ، أو تغافلاً عن أداء الواجب... والقيام بحمل الأمانة... وأي أمانة.